رسائل مشجعة فى أرض الغربة

مينا بديع عبد الملك
جمعية مارمينا العجايبى للدراسات القبطية بالأسكندرية

مقدمة:

بسبب اعتكافى فى المنزل لبعض الظروف الصحية الطارئة، أخذت أبحث فى صندوق كرتونى أحتفظ به فى المنزل به الرسائل التى كنت أستلمها من الوالدين والإخوة والأصدقاء والخدام والرهبان والكهنة والأساقفة طوال فترة غربتى للدراسة بالخارج.

من بين هذا العدد الضخم من بين الرسائل عثرت على عدة رسائل متميزة بالروحانية العالية الصادقة والأمينة كان قد أرسلها خادم سكندرى متميز له دور هام فى التعليم فى الكنيسة بمدينة الأسكندرية هو **الأستاذ عادل عازر بسطوروس المحامى**. شفاه الله ومتعه بالصحة والعافية. ما أن طالعت هذه الرسائل حتى وجدت نفسى مدفوعاً لأُسجل هذا المقال لكى أشرك معى القارئ العزيز فى عمق وغنى التعليم الذي كان مسجلاً بتلك الرسائل.

وقبل أن أتعرض لبعض هذه الرسائل- نظراً للمساحة المحدودة بالمجلة - أود أن أقدم للقارئ العزيز نبذة مختصرة عن خدمة **الأستاذ عادل عازر بسطوروس**.

الأستاذ عادل عازر بسطوروس من مواليد ١٩٢٣ ونما وترعرع فى حضن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية **و لإجادته** اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية قرأ العديد من كتابات آباء الكنيسة القبطية من مصادرها الأصلية. وهذا ما سوف نكشفه فى الرسائل التى سنقوم بعرضها. كان شقيقه الأكبر هو **دكتور نجيب عازر بسطوروس** الذى كان له خدمة متميزة فى الأسكندرية أيضاً وكان يهتم بتسجيل تأملاته الروحية العميقة ولكنه توفى فى سن مبكرة من حياته وكان قد ترك وصيته لشقيقه الأصغر الأستاذ عادل وهى أن يهتم بطبع هذه التأملات فى كتيب ويوزع مجاناً، وكان الأستاذ عادل أميناً - كما هى عادته - فى طبع هذه التأملات فى كتيب أنيق بعنوان "**الوقت المقبول**" وتم توزيعه فى أنحاء القطر المصرى وأيضاً خارج القطر المصرى مجاناً .

خدم الأستاذ عادل عازر بسطوروس شماساً مباركاً بالكنيسة المرقسية بالأسكندرية وله صوت مميز بالروحانية الصادقة كما كان جهورياً، كما رأس الرابطة المرقسية بالأسكندرية التى تعقد اجتماعاتها الروحية يوم الجمعة أسبوعياً وكان يحرص أن يرأس هذا الاجتماع الأسبوعى ليقدم فيه تفسيراً أميناً وصادقاً لأناجيل ورسائل الكتاب المقدس من خلال كتابات آباء الكنيسة الأولين. وكانت هذه الرابطة قد اختارت **نيافة الأنبا مكاريوس ــ أسقف دير البراموس المتنيح** - أباً روحياً لها لارتباطها به وقت أن كان وكيلاً للبطريركية بالأسكندرية.

http://bestavros.net/adel (C) Copyright 2005 - All Rights Reserved. Page 1 of 6

أيضاً خدم الأستاذ عادل عازر بسطوروس بمجلس ملى الأسكندرية فى فترة المتنيح البابا **كيرلس السادس** وأيضاً **قداسة البابا شنوده الثالث** ــ أطال الرب فى عمره ــ وكنا نفرح عندما نرى عضو المجلس الملى يعتلى منبر الوعظ فى كنائس الأسكندرية ليقدم تعليماً روحياً نافعاً ومفيداً. وظل يعمل فى عضوية المجلس الملى بالأسكندرية بجدية ونشاط وصدق وأمانة إلى أن اعترض على إحدى تصرفات النائب البابوى بالأسكندرية وقتها، وفى جلسة اعتراضه هذه سجل كتاب استقالته وغادر قاعة المجلس إلى بيته.

وأيضاً كان الأستاذ عادل عازر بسطوروس أحد الذين شملتهم قرارات سبتمبر ١٩٨١ المتعسفة وتعرضت صحته للعديد من الاهتزازات لكن من جميعها أنقذه الرب وأعاده لنا سالماً، ولم تكن له قضية فى ذلك!!

كان الأستاذ عادل عازر بسطوروس طوال أسبوع آلام مخلصنا الصالح يجول بين كنائس **الأسكندرية يقدم تعليماً** رائعاً كنا ننتظره بفارغ الصبر سواء بكنيسة السيدة العذراء بمحرم بك أو **الكنيسة المرقسية بالأسكندرية** أو كنيسة مارمينا بفلمنج...الخ، وكانت لى بركة خاصة أن أذهب إليه **بمنزله المبارك** وأصطحبه إلى كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك، فكان لى أباً روحياً بمعنى الكلمة وأحمل له محبة صافية من كل قلبى وأصلى من أجله ليعوضه الرب عن خدمته.

قصدت أن أسجل هذه المقدمة المطولة ليدرك القارئ مدى الغنى الروحى المذخر فى هذا الخادم الأمين والشماس المبارك وأيضاً المحامى الناجح والقدير الذى كان له ثقله ووزنه فى قاعات المحاكم.

من بين الخدمات الصادقة التى كان يقدمها الأستاذ عادل عازر بسطوروس هو تسجيله رسائل لأولاده العديدين ــ سواء بالعربية أو بالإنجليزية ــ الذين يقيمون بالخارج سواء للدراسة أو للهجرة. وهذه الرسائل عندما كانت تصلنا ــ لم نكن نعتبرها رسائل شخصية بقدر ما هى رسائل روحية عامة نافعة لنا جميعاً ــ فكنا نقوم بتصويرها وتوزيعها على بقية الأصدقاء إذ أنها كانت لها وقعها الخاص فى أرض الغربة. وأود هنا أن أسجل بكل أمانة أنه إن كانت رسائل بشرية فى أرض الغربة تسبب لنا فرحاً وتعزية لا يُعبَّر عنها فكم وكم تكون رسالة الإنجيل المرسلة لنا من الله ونحن فى غربة هذا الجسد لابد أن تكون هى المصدر الوحيد لتعزيتنا وفرحنا، وسوف تكون دينونتنا قاسية إن أهملنا هذا الغنى الروحى المخفى لنا فى الكتاب المقدس. وأقول بكل الأسف إن شباب هذه الأيام قد اقتصرت علاقتهم بالكنيسة بأنشطة اجتماعية بحتة من كورال لمسرحيات... الخ. ولم يعد لهم الوقت المخصص والجلسة الهادئة مع الكتاب المقدس. لعلنا نصحح أساليب خدمتنا مع الشباب لأنهم كنيسة المستقبل.

أعود إلى رسائل الأستاذ عادل عازر بسطوروس.

(١) سبحى يا نفسى الرب ولا تنس كل حسناته

فى ٢٦ مايو ١٩٧٦ أرسل الأستاذ عادل عازر بسطوروس رسالة لأحد شباب الرابطة المرقسية بالأسكندرية الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقروا فى نيويورك واسمه "وجدى فيكتور فرج" وهناك صلة قرابة لى معه.

 (C) Copyright 2005 - All Rights Reserved.

جعل الأستاذ عادل هذه الآية عنواناً لرسالته ثم قال له:

عزيزى وجدى...

هـذه الكلمـات التى جعلتها عنواناً لرسالتى إليك هى من مزمور لداود النبى، وقد قرأتها صـباح اليوم فى نتيجة المحبة وأنا خارج من البيت. ولا بأس أن تجعلها لنفسك شعاراً لكى ينجح الرب طريقك ويحقق أمانى جميع محبيك وأنت فى عالمك الجديد.

والمرنم فى هذه الكلمات يخاطب "نفسه"، "النفس" التى كانت إليها أول وصايا الله أن تحب الرب إلهك من كل "نفسك". فإذ كانت النفس البشرية تحب الله فهى تداوم على تسبيحه والشكر علـى إحساناته، وإذاً فالتسبيح يجب أن ينبع من المحبة وإلا كان مجرد كلمات جافة لا تبعد كثيراً عن شفاه قائلها. أما إذا كانت صاعدة من أعماق قلب محب لله فإنها ترتفع فوق السماء ذاتها لكى تصل إلى أسماع الله ذاته، وتجتمع فيها بالتسابيح من قلوب المؤمنين جميعاً سحابة مجد عظيمة مع تراتيل الملائكة والقديسين فيتحقق بذلك "المجد لله فى الأعالى".

علـى أنـه لـيس التسبيح بالكلمات فقط، وإن كان هذا مطلوباً ونافعاً للنفس البشرية فى الكنيسـة وفـى الحياة اليومية، بل يجب أن يقترن بها أيضاً أن تكون حياتنا ذاتها تسبيحاً لله بأعمال طيبة تنطق بالشكر له والاعتراف بجميل حسناته.

وفـى هـذا أذكر عبارة قرأتها مرة بالإنجليزية Not only thanksgiving but also thanksliving. والواقع أن سير القديسين تعتبر أمثلة فى حياة الشكر.

وداود المرنم يجمع فى كلماته التسبيح لله مع حسنات الله، أى احساناته للناس جميعاً ولكل واحد منا خاصة. وكأنما يضع فى كفة الميزان إحسانات الله وفى الكفة الأخرى تسبيح النفس، وحينئذ نجد أن كفة الله ستكون دائماً هى الراجحة. فإن أعمال الله فى الإحسان لنا لا يمكن أن تقـاس بهـا تسابيح البشرية كلها. فالفداء والمحبة التى أحسن بها علينا فى السيد المسيح له المجد، الذى صلب بسبب خطايانا وقام لأجل تبريرنا، هى إحسان ونعمة لا يمكن تقديرها أو حصـرها لأنهـا غـير متناهية وغير محدودة، وكما قال القديس يوحنا الرسول فى رسالته: "*لظـروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله*". وأما تسابيح البشر مهما عظمت فلن تسـاوى محـبة الله، ومع ذلك فمن إحسان الله علينا أنه يقبلها منا مثل بخور طيب يدخل إلى الأقداس السماوية ويتنسمه بالرضا.

جميعنا نذكرك فى صلواتنا وأحاديثنا ونطلب لك "*أن تكون ناجحاً فى كل شئ كما أن نفسك ناجحـة*"، ونجاح النفس معناه اجتيازها الامتحان بدرجات عالية، وهذا أهم من نجاح العقل فى الدرجـات العلمية أو فى الثروة أو الشهرة العالمية. ولو أعطينا فرصة أخرى للمرحوم هوارد هـيوز أن يعـيش فى أمريكا من جديد فإن كل ملايينه وشهرته ستضحى لا شئ فى سبيل أن تكون نفسه ناجحة مع الله وفى سلام مع الله، هذا السلام الذى أنت قرأت فى الجرائد الأمريكية أنه كان يفتقده أيام حياته على الأرض! وماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟

الرب معك، ويحفظك فى دخولك وخروجك، الرب يحفظ نفسك.

.... عادل ....

 (C) Copyright 2005 - All Rights Reserved.

(٢) تمسك بأهداب التعاليم التى لآباء الكنيسة الأولين

فـــى ١٤ يولـــيو ١٩٨١ أرسل لى الأستاذ عادل عازر بسطوروس رسالة رائعة وقت أن كنت فى المرحلة النهائية من إعداد رسالة الدكتوراه بإحدى الجامعات الكندية.

ولا مـــانع مـــن أن أسجل الكثير من الرسالة لما فيها من أسلوب راق جداً وهادف وأيضاً ممزوج بالروحانية. نجده يقول:

عزيزى المبارك مينا...

تلقيـــت خطـــابك الفياض بالمحبة، بعدما تخطى عوائق كفيلة بأن تضيعه فى مصر! فهو بالبريد العادى الذى لا يهتم به عادة موزع البريد! وهو على عنوان بيتى بالأرقام القديمة التى تغـــيرت تماماً، فبعدما كان الرقم ٢٣٢ طريق ٢٦ يوليو أصبح ٩٢ ! كما أن صندوق البريد فى العمارة كسره بعض الأولاد، فالصندوق فتحوه ومفتاحه معى!

غير أن المحبة التى لا تقوى عليها نيران العالم – كانت متدفقة من خطابك ليجتاز جميع هذه العوائق المادية. وإن كان عصفور واحد فى الجو ليس منسياً أمام الله، فإن رسالة محبة وغيرة كنسية صادقة بهذا المقدار، لا يمكن أن تغيب عن أنظار الله فى السماء وعلى الأرض.

إنـــنى أذكـــر اســـم والدك المحب للمسيح وقديسيه، وهوذا ثمرة حديثة من ثمرات جمعية العجايبى قد ظهرت فى المكتبات: "كتاب عبقرية باخوم" للدكتور منير شكرى.

إنـــك بنعمة الله سليل إيمان خالد، هذا الإيمان الذى سكن أولاً فى بيتك أباً وأماً، وتحصن فى كنيسة السيدة العذراء أم النور، وأضاء لك بضياء باهر من **البابا كيرلس** القديس، والفاعل الأمين **أبونا بيشوى**، وأبهج نفسك بالكتابات الأمينة من قلم "نجيب" وأمثاله من عارفى الرب وشركاء آلامه المحيية وقيامته المجيدة.

أما جذور هذا الإيمان ففى الأرض الجيدة ممتدة عبر الأجيال من خلال القديسين والشهداء والـــبطاركة ومعلمى الكنيسة والنساك والمعترفين – إلى الرسل الأطهار الذين لمسوا بأيديهم كلمة الحياة، يسوع الرب والمخلص.

وبهذه المناسبة – وعلى النهج الذى أعكف عليه حالياً – أناشدك أن تتمسك بأهداب التعاليم الـــتى لآبـــاء الكنيســـة الأولين، فهى أصفى ينابيع المسيحية، وخالية من البدع ومن متاعب الانشـــقاق الذى دخل إلى كنيسة المسيح بحسد إبليس بعد القرن الخامس، وكتبها رجالات الله العمالقة حقاً المملوؤن بالروح والعائشون بحق إنجيل المسيح إلى النفس الأخير.

وإذا لـــم تكـــن قـــد اقتنيـــت بعد كتاباتهم فأوصيك قبل عودتك إن شاء الله أن تشترى لك الأجزاء المطبوعة منها فى مجموعة Nicene and Post Nicene Fathers ومجموعة Ante-Nicene للقديســـين العظـــام أمـــثال القديـــس أثناسيوس وكيرلس الكبير وفم الذهب وأغسطينوس، ولسوف تجدها فى كندا بسهولة.

سأبلغ سلامك لمن تحب كما كتبت، وسأحمل صلواتك للقديس مارمينا فى فلمنج أو مريوط كما يشاء الرب.

أخوك عادل

 (C) Copyright 2005 - All Rights Reserved.

(٣) "إن أخـذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر فهناك أيضاً تهدينى يدك وتمسكنى يمينك" (مزمور١٣٩)

فـى ٢٤ فبراير ١٩٨٦ أرسل لى الأستاذ عادل عازر بسطوروس رسالة أخرى وكنت وقتها بجامعة ليفربول البريطانية فى مهمة علمية لبضعة شهور.

وجاء فى رسالته ما يلى:

عزيزى الشماس المبارك الدكتور مينا.

الـيوم أول صـوم يونـان، وقد بدأت معه "النوة" المعروفة باسمه فى الأسكندرية – فى المـيعاد تمامـاً. وكان النبى الجليلى هارباً من وجه الرب، قد أخذ باكر الصبح للمضى إلى سـواحل أسبانيا من أقصى شرق الأبيض المتوسط إلى غربه، فأخذته يد الرب باقتدار ولكن برفق وأسكنه أعجب مسكن لبشر فى التاريخ فى بطن السمكة الهائلة حتى عاد من حيث أتى، ثم قاده فى الطريق مجدداً إلى نينوى المدينة العظمى لينادى عليها !.

وما أشبه الليلة بالبارحة. فكم من دولة عظمى وعواصم كبرى قد صعد شرها أمام قاضى الأرض كلها، ومع ذلك يرسل إليها نداءات للتوبة بإشفاق أعظم، وهكذا نرى أفكار الله خلاف أفكار الناس (حتى من كان منهم نبياً كيونان) فإنه حيثما كثرت الخطية تفاضلت النعمة جداً.

علـى أن الـنداء فى العهد الجديد يغاير النداء فى القديم وإن اتحدت الغاية فيونان بالأمر الإلهـى يـنادى مسيرة يوم كامل أن بعد ٤٠ يوماً تنقلب المدينة. أما المسيح له المجد بلسان رسـله الأتقياء وخدامه الأمناء إلى اليوم – **يـنادى أن اقترب ملكوت الله.** وقد يخرج المبشر طريداً من عصيان وتمرد الناس، فيترك لهم حتى الغبار الذى لصق بكعب حذائه الذى طاف به مبشراً بينهم، ولكن لازالت آخر كلمات وداعه "**ملكوت الرب قريباً**"!

ولعلـك فـى إنجلـترا، فى المدينة العظمى ليفربول، تحمل نداء يونان للتوبة وإنما باللغة الجديـدة لأجل خلاص القريبين والبعيدين. **فالبشارة المفرحة عن إشفاق الرب على الفجار والعصاة – هى من قبيل التكلم بالألسنة أيام الرسل.**

أسأل المخلص الصالح أن يزيد منك مواهبه والإيمان المستقيم الذى سكن فى آبائك وأجدادك مثمراً فى غصنك الطيب وفى كل من تحب، ولتكثر لك عافية الثالوث الأقدس.. آمين.

... عادل ...

(٤) الزم من أجل أن ترفع اسم المسيح فى هذه الدراسة أيضاً :

فى ١٣ إبريل ١٩٨٦ أرسل لى الأستاذ عادل عازر بسطوروس رسالة أخرى وأنا بجامعة لـيفربول بانجلترا رداً على رسالة كنت قد أرسلتها له أعربت فيها عن عزمى على اختصار مـدة إقامـتى بانجلـترا لأتمكن من التمتع بصلوات أسبوع الآلام بأرض مصر. فكانت هذه رسالته إلىّ: عزيزى دكتور مينا... [أحد المخلع]

قـبل أن أذهب بمشيئة الله إلى الكنيسة فى هذا الأحد المبارك، بادرت بالكتابة إليك بتحية محبة خالصة.

(البقية صفحة ٣٥)

 (C) Copyright 2005 - All Rights Reserved.

بمناسبة آحاد الصوم الكبير وتسمياتها كما تعلمتها منذ الطفولية من والدتى ومن جدتى اللتين سكن فيهما الإيمان بغنى... فإنها تعبر عن شخصيات هذه الآحاد من قبل المسيح، وربما تكون لها تسميات أخرى بالأحرى. فالابن الضال أصبح الابن التائب، والسامرية صارت المسيحية المبشرة، والمخلع صار صحيحاً، والأعمى "كنت أعمى" وأما الآن أبصر. ولعلها من زاوية المخلص الصالح آحاد الذى به نحيا ونتحرك ونوجد، فهو نور الحياة لمن ولد فى ظلمة الخطية والقوة والحيوية لمن كان مفككا بضرباتها والوجود من بعد الضلال والعدم.

أنا أعلم مدى اشتياقك إلى أن تطرح نفسك على أعتاب بيت الله فى خلوة بدير مارمينا العجائبى شفيعك فى أسبوع الآلام المحيية وإنما إذا كانت الضرورة لكى تكون ناجحاً فى كل شئ كما أن نفسك ناجحة فلا بأس أن تبقى فى دراستك فيما هو ألزم من أجل أن ترفع اسم المسيح فى هذه الدراسة أيضاً. الرب يرشدك وينصحك وعينه عليك لخيرك وخير الكنيسة.

وسلام الله الفائق يحفظ نفسك ويرد غربتك بالطمأنينة والصحة والنجاح، آمين.

المخلص عادل

وهكذا بكلمات قليلة روحية صادقة كان لنا الأستاذ عادل عازر بسطوروس واعظاً ومعلماً ومرشداً وشاهداً لنا فى غربتنا، ليس لنا نحن فقط بل كل من قرأ ويقرأ هذه الرسائل التى تعد رعوية.

نطلب من الله المحب للبشر أن يسنده ويقويه ويحفظه لنا سالماً مقدماً لنا قدوة طيبة بحياته المباركة وبجهاده المثمر.

 (C) Copyright 2005 - All Rights Reserved.